

دراسات الأدب المعاصر، السنة السابعة، صيف ١٣٩٤، العدد السادس والعشرون: صص ٥٩ - ٧٩

## دراسة الخصائص الفنية لشعر الشكوى عند حافظ إبراهيم

على پیرانی شال\*

تاریخ الوصول: ٩٣/١١/١٥

على حسین غلامی یلقون آفاج\*\*

تاریخ القبول: ٩٤/٢/٧

### الملخص

إنّ الشكوى حالة شعورية تقوم على وجع داخليّ يلمّ بالمرء خلال موقف يستوجب التعب والصراخ وأحياناً البكاء. إنّ حافظ إبراهيم ذاق طعم الشدة في حياته ويحفل شعره بوصف إخفاقه ولوعته على ما فات من السعد. من جانب آخر إنه سمع شكوى المظلومين وشارك في مصائبهم، فنرى الشاعر صاحب نفس شاكية. نجد في شعره الشاكي الارتباط الوثيق بين معجمه الشعري وبين حالاته الحزينة حيث ألفاظه تبين لنا نفساً أليمة واعتمد الشاعر على ألفاظ تخلو من الغرابة، واستخدم لغة الماضي فذكر الماضي كان كبلسم يشفي جروحه.

الكلمات الدليلية: حافظ إبراهيم، الشكوى، اللغة الشعرية، الموسيقى.

aligholami121@gmail.com

aligholami121@gmail.com

\*أستاذ مشارك بجامعة الخوارزمي، قسم اللغة العربية وآدابها.

\*\*طالب الدكتوراه بجامعة بوعلي سينا، قسم اللغة العربية وآدابها.

الكاتب المسؤول: على پیرانی شال

## المقدمة

الشكوى قديمة في الشعر العربي وهي تمثل باباً واسعاً فيه حيث شكوى الدهر من أهم المضامين التي تناولها الشعراء في العصر العباسي، ومنها تكوّن فن الدهريّات. نظراً للشكوى في العصر الحديث نجدتها عند جملة شعراء هذا العصر كما يقول بطرس البستاني: «هذا الباب كثير في شعر المحدثين فما نكاد نرى شاعراً إلّا شاكياً حتى أصبح النواح صفة قوية تتميز بها منظوماتهم» (البستاني، ١٩٨٨ م: ٢٦٥) ومن الشكوى في العصر الحديث، الشعر الذي نظمته البارودي في منفاه ووصف خليل مطران همومه وآلامه.

من أسباب هذه الشكوى الدائبة في عصر حافظ ما قاله شبّاب ذلك العصر ممن أصبحوا من كبار المفكرين كالدكتور طه حسين وهو يقول: «كان البدع في أيام صباي تكلف البؤس وانتحال سوء الحال والافتنان في شكوى الناس والزمان، وكان ذلك بدعاً في العصر الأوّل من هذا القرن وكان حافظ يذيع هذا البدع ويروّجه» (حسين، د.ت: ٨٣).

دوافع اختيار هذا الموضوع؛ اهتمام هذا الشاعر بالجانب اللفظي والفني في شعره وسبق الشاعر من جملة شعراء عصره في الشكوى وأما أهداف هذا البحث، فهي الوصول إلى جواب هذه الأسئلة؛ ما هو معجم حافظ إبراهيم في شعره الشاكي؟ ما هي الأساليب التي استخدمها الشاعر في شعره الشاكي؟ كيف استخدم جانب الموسيقى في الشكوى؟

هذا البحث قائم على المنهج الوصفي في مجال الشرح ووصف الشواهد الشعرية كما كان هناك استفادة من المنهج التحليلي، وبيان الرأي والتعمق في الأبعاد الفنية ويعتمد أيضاً على دراسة إحصائية لنسبة حروف القوافي وحركاتها وتحدثنا في هذا البحث عن اللغة الشعرية وتكلّمنا عن الموسيقى الخارجيّة والداخليّة.

هناك دراسات مختلفة حول حافظ وأدبه نحو «حافظ إبراهيم شاعر النيل» للشيخ كامل محمّد محمّد عويضة (١٤١٤هـ)؛ يحتوى هذا الكتاب على قراءة أسلوبية لشعره وتحاول هذه القراءة أن تعيد النظر في شعره على هدى من الدراسة الأسلوبية للأدب، ويتحدث عن المعجم الشعري عنده ويشتمل على دراسة لبناء الجملة في ديوانه. كتاب «حافظ إبراهيم شاعر الشعب وشاعر النيل» ليويسف نوفل ١٩٩٧ م، يهتم المؤلف في هذا الكتاب بتقديم الشاعر من خلال سيرة حياته. فيعبّر عن بعض شدائد حياته مع وضع مختارات من شعره الشاكي وكتاب «حافظ إبراهيم؛ دراسة تحليلية لسيرته وشعره»

لسعيد محمود عبد الله، ١٩٩٩م، يدرس هذا الكتاب سيرة الشاعر وشعره الاجتماعي والوطني مشيراً إلى جزء من شعره الشاكي، وفي الختام يشير إلى بعض ملامح فنية في شعره وهناك دراسات أخرى نحو «الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم» لفوزية بنت عبد الله بن عايش المنتشري الشمراني (دراسة أعدت لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي بجامعة أمّ القرى، ١٤٣٠-١٤٣١ق) وهذا البحث يتناول شعر حافظ الذي يتحدث عن الأخلاق، ثم يدرسه دراسة فنية.

وهناك مقالات من الدارسين الإيرانيين عن حافظ إبراهيم نحو «نقد قصيدة البنات للشاعر الكبير حافظ إبراهيم» لأكرم السادات ميرممتاز (هذه المقالة بالعدد الخامس عشر، السنة الثامنة، من مجلة آفاق الحضارة الإسلامية)، هذه المقالة تهتمّ بجزء من شخصية الشاعر الاجتماعية وتنقد آرائه في العالم العربي بخصوص المرأة والموضوعات المتعلقة بها؛ ومقالة «الموسيقى في الشعر الاجتماعي عند حافظ إبراهيم» لإبراهيم زارعي (هذه المقالة بالعدد السابع من مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، ١٣٨٦ش) ويتحدث هذا البحث عن الموسيقى الخارجية والداخلية في شعر حافظ الاجتماعي. فهناك بحوث مختلفة حول حافظ وأدبه، ويجدر الانتباه إلى أنّ هذه الدراسات تستوجب الإشادة.

أمّا الجديد الذي يقام به في هذا البحث ولم يدرس من جانب الآخرين، فهو دراسة الخصائص الفنية لشعر حافظ الشاكي وتبيين هذه الخصائص. يبلغ عدد أبيات الشكوى حسب استخراجها من الديوان في هذا البحث نحو ٥٥٩ بيتاً. أمّا الخصائص الفنية، فتشتمل على عناصر منها؛ أولاً اللغة الشعرية وهي تضم محاور أساسية كالمعجم الشعري، ثانياً الصور الشعرية، ثالثاً المعجم الایقاعي والموسيقى الشعرية.

وبالنظر إلى هذه العناصر، يدرس هذا المقال أهمّ الخصائص الفنية لشعر الشكوى عند حافظ من خلال عدد من المحاور نذكر منها اللغة الشعرية ومنها المعجم الشعري والتراكيب والموسيقى. هناك فرضيات في هذا البحث نحو أولاً الألفاظ التي استخدمها حافظ في الشكوى تساعده على إبراز الخلجات النفسية، ثانياً نجح الشاعر أن يستمدّ في لغته من شتى التراكيب وهي تجعل شكواه نافذة في القلوب. ثالثاً هناك صلة بين قصائده الكاملة في الشكوى وبين البحور المستخدمة.

حافظ واجه نكبات كثيرة في حياته، فمن فقدان أبيه وهو طفل، إلى ضيق ذات اليد، إلى بؤسه في بيت خاله، إلى إخفاقه في المحاماة وغير هذه النكبات جعله صاحب نفس شكاء بكاء (الفاخوري، ١٤١١م: ٥١٨). من جانب آخر أثرت أوضاع عصره في شعره حيث شاهد المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية وطرق باب هذه المشاكل في قصائده، فهذه المشاكل وتلك النكبات جعلته شاكياً من الفقر والظلم حيث قد احتلت الشكوى مكانة خاصة في أشعاره، وهذا كله جعله «يحمل لواء الشكوى في عصره» (الجندي، د.ت: ١٧٦). شعر الشكوى عند حافظ قد انطبع بخصائص شتى وتمكن دراستها في المحاور التالية:

### اللغة الشعرية

اللغة «هي وسيلة للتواصل بين أفراد الجماعة الإنسانية» (حجازي، ١٩٧٨م: ١٢). اللغة وسيلة لنقل المشاعر والأفكار للآخرين وحينما ندرس هذه اللغة في عالم الشعر نجد «هذه اللغة لغة خاصة مختلفة غيرها سواء اللغة المحكية أو لغة الكتابة النثرية، فلغة الشعر لغة العاطفة والإحساس ولكن لغة النثر هي لغة العقل» (غنيمي هلال، ١٩٨٧م: ٣٧٧). إن الشاعر يعلم أهمية اللغة، فيستخدمها للتعبير عن المعاني التي تجول في نفسه؛ لذلك يختار الشاعر من الألفاظ التي أقدرها على نقل تجاربه ومشاعره. فلكل شاعر منهج وأسلوب في التعامل مع الألفاظ ونظمها و«طريقة الشاعر في بنائه ترجع إلى درجة إحاطته بالظواهر اللغوية كالاشتقاق، والترادف والتضاد وترجع كذلك إلى تنبّهه للخصائص الدقيقة لمعجمه الشعري، وإذا استطاع أن يختار ألفاظاً قريبة إلى طبيعة الإحساس الانفعالي جعله هذا المعجم قادراً على التوحد مع الحدث» (القاسم، ٢٠٠٦م: ٨٨).

الشاعر يعلم بأهمية الألفاظ خدمةً للمعنى الذي يريد بيانه، «فتفرض التجربة الشعرية التي يعبر عنها الشاعر، طبيعة المعجم الشعري الشائع في النص أو النصوص التي يعبر من خلالها عن تلك التجربة، وكلما كانت التجربة الفنية قوية وحية في نفس الشاعر أتت الألفاظ والقيم التعبيرية المعبرة عنها وثيقة الصلة بها، قادرة على تجسيدها وتفجير ما يتصل بها من حالات وجدانية في نفس المتلقى ومكنت الشاعر من توصيل طاقاته الشعورية إلى قارئه» (أبو الخير، ١٤٢٦ق: ٣٠٩). المادة الشعرية التي تستند عليها هذه

الدراسة، مادة «الشكوى»، فالفاظ الشاعر تقطر لوعة وألماً كما أنها جاءت متوائمة مع الحالات الشعورية ويأتى شعر الشكوى عنده بمذاق يلائمه ولغته الخاصة التى تعطى صورة واضحة عن تفجر حالات الألم. إذ إن للشاعر معجماً شعرياً خاصاً يتفق مع حالاته الحزينة. فبناء على جميع ما سبق يمكن أن يدرس اللغة الشعرية هنا فى محورين أساسيين.

### المعجم الشعرى فى الشكوى عند حافظ

أ: اعتماد الشاعر إلى الألفاظ التى توحى بالحزن والألم: إنّ الباعث الأول للشكوى هو الحزن والألم ومعجم *حافظ* فى شعره الشاكي يفيض بألفاظ الحسرة والأسى وتدور فيه ألفاظ كثيرة منها الليل / الموت / الزمان / الدهر / الدنيا / القبر / الهموم / الأيام / الظلم / الخطب / الشقاء / الأسى / الحزن / الذل / الحوادث / الدمع / اللفهف / البؤس / اليأس / الصبر / المحن / الحسرة / الجفاء / الجوع / الفقر / الفراق / الكيد / الذلّة / الضيقة / السقم / الشكوى / الشكاية / الشكاة. هذه الألفاظ تساعده على تصوير شكواه مثل كلمة «لهف» التى تعطى معنى التحسر والألم إثر فقد عزيز، نجد هذه الكلمة فى شكوى الموت حيث يخاطب القبر قائلاً:

يا قَبْرُ هَلْ لَعِبَ الْبَلَى	بِلِطَافِ تَلَكِ الْأَنْمَلِ؟
لَهْفِي عَلَيْهَا فِي الطَّرْوِ	سِ تَسِيلُ سَيْلَ الْجَدْوَلِ
لَهْفِي عَلَيْهَا فِي الْجِدَا	لِ تَحُلَّ عَقْدَ الْمُشْكِلِ
لَهْفِي عَلَيْهَا لِلرَّجَا	ءِ وَلِلْعَفَاةِ السُّؤْلِ

( إبراهيم، ٢٠٠٤م، ج ٢ / ١٧٨ )

فنرى تردد لفظ «لهفى» ثلاث مرات وتكرار هذا اللفظ يدلّ على وجع الشاعر القلبي من الموت، ونجد فى موضع آخر تكرار لفظ «الشكوى» بصور مختلفة فى بيت واحد:

أضحت ربوع النيل سلـ	أطنة وقد كانت ولايه
فتعهـدوها بالصـلا	ح وأحسبنا فيها الوصايه
إننا لنشكو واثقيـ	ن بعدل من يشكى الشكايه

(المصدر نفسه: ج ٢ / ٨٢)

فحضور لفظ «الشكوى» بهذا المستوى يعكس دلالاتها النفسية. أو مثل ورود «الحنن، البلوى، الشقاء» فى سياق بيت واحد، وهذه الألفاظ تكشف عمّا تحتها من حالة شاكية ولا يستطيع الشاعر أن يخفيها، كما يقول:

خَلَقْتَ لِي نَفْساً فَأَرَصَدْتُهَا      لِلْحُزْنِ وَالْبَلْوَى وَهَذَا الشَّقَاءُ

(المصدر نفسه: ج ٢ / ١١٤)

ورود كلمات «الشقاء، الخطوب، الهم، الحزن» فى بيتين متواليين وهما يصوران نفس الشاعر المفجوعة وهى تشكو من الشقاء:

فَتَقَلَّبْتُ فِي الشَّقَاءِ زَمَانَا      وَتَنَقَّلْتُ فِي الخُطُوبِ الجِسامِ  
وَمَشَى الهمّ ثاقباً فى فؤادى      وَمَشَى الحُزْنَ ناخراً فى عظامى

(المصدر نفسه: ج ١ / ٢٨٨)

إنه استخدم طائفة من الألفاظ المحملة بالدلالات الشعورية للتعبير عن الواقع، فهذه الألفاظ كلّها تبين لنا نفساً أليمة تحس لذع الحزن حيث نفسه تفيض بطوفان من الحزن؛ ويمكن لدارس شعر الشكوى عند حافظ أن يجد الارتباط الوثيق بين المعجم الشعرى لشعر الشكوى وبين حالات الشاعر الحزينة وهذا الارتباط هو دليل قوى على صدق التجربة الشعرية.

**ب: اعتماده إلى التعامل مع الألفاظ السهلة التى تخلو من الغرابة:** من السمات التى تواجهنا سهولة الألفاظ التى ربّما تؤدى إلى سهولة المعنى ووضوحه، ومرد ذلك إلى حرص الشاعر على استقطاب الألفاظ البعيدة عن التعقيد، كما نلاحظ فى البيتين السابقين عمد الشاعر إلى التعامل مع الألفاظ السهلة التى تخلو من الغرابة، فالكلمات مثل «الشقاء، زمانا، الخطوب، الجسام، الهم، ثاقباً، فؤاد، الحزن، عظام» كلّها من الألفاظ السهلة التى يتداولها عامة الناس فيما بينهم.

كما يتجلى مثل هذه السهولة فى شكوى الشاعر من بؤسه وهو يتمنى الراحة من ذلك بالموت:

ويا صدرُ كم حَلَّتْ بذاتكَ ضيقةً      وكم جالَ فى أنحائك الهمُّ وأرتمى  
فهلّا ترى فى ضيقةِ القبرِ فُسحةً      تُنفِّسُ عنكَ الكربَ إن بتّ مُبرماً؟

(المصدر نفسه: ج ٢ / ١١٦)

نجد كلمات سهلة مثل «صدر، حلت، ضيقة، أنحائك، الهمم، القبر، فسحة، تنفس، الكرب، مبرما» ويقول فى شكوى الدهر:

لم يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا      إِلاَّ بَقِيَّةُ دَمْعٍ فِي مَآقِينَا  
كُنَّا قِلَادَةَ جِيدِ الدَّهْرِ فَأَنْفَرَطَتْ      وَفِي يَمِينِ الْعُلَا كُنَّا رِيَاحِينَا

(المصدر نفسه: ج ٢ / ١١٩)

والكلمات مثل شىء، الدنيا، أيدينا، بقية، دمع، مآقينا، قلادة، الدهر، يمين، العلا كلها من الألفاظ السهلة، وفى الشكوى من حظه نجد عدداً من الكلمات السهلة مثل سَعَيْتُ، أديب، خيبة، اغتراب، نَعْلَى، دَمًا، ووسادتي، التُّرابِ:

سَعَيْتُ وَكَمْ سَعَى قَبْلَى أَدِيبٍ      فَآبُ بَخِيْبَةٍ بَعْدَ اغْتِرَابِ  
وَمَا أَعْدَرْتُ حَتَّى كَانَ نَعْلَى      دَمًا وَوَسَادَتِي وَجَهَ التُّرَابِ

(المصدر نفسه: ج ٢ / ١٢٢)

**ج: لغة الماضي:** إنَّ حافظاً قد اعتمد على الفعل الماضى حيث ظهرت فى أبياته لغة الماضى، فالشاعر أخذ يعدد مآثره الماضى وتحسر على هذه المآثر بأسلوب يبعث الحزن والأسى. فاستدعاء الشاعر للفعل الماضى يوحى بمقدار الحسرة الحالية التى يعيشها فالهروب إلى الماضى محاولة من الشاعر لرفض الواقع متحسراً على ماضيه، من ذلك قوله فى شكوى فراق الوطن إبان خدمته فى السودان.

حينما نقرأ الأشعار التى نظمها حافظ إبان خدمته فى السودان نحس أن بعده عن القاهرة ومجالسها كان يحنقه ويشقيه. وكانت له مراسلات إلى أصدقائه بالقاهرة وكان يعبر فيها عن آتاته الحزينة. كما نجد أنه يتذكر أيامه الغابرة مع تلك الثلة من الأصدقاء وهو يتحسر على أيامه فى مصر:

أثرت بنا من الشوق القديم      وذكري ذلك العيش الرخيم  
وأيام كسوناها جمالا      وأرقصنا لها فللك التعميم  
ملانها بنا حسناً فكانت      بجيد الدهر كالعقد النظيم

(المصدر نفسه: ج ١ / ١٦٢)

إنّه يشناق إلى عهد الصباوة ويحنّ إليه ويبلغ سلامه على أصحابه وأصدقائه، ثمّ يتذكر ما بينه وبينهم من المسافات الطويلة والفلوات الواسعة. فنلاحظ على الشاعر تزاخم ذكريات الماضي واستحضرها بشكلٍ بارز:

سَلَامُ اللَّهِ يَا عَهْدَ التَّصَابِي      عَلَيْكَ وَفْتِيَةَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ  
أَجِنُّ لَهُمْ وَدُونَهُمْ فَلَائَةً      كَانَ فَسِيحَهَا صَدْرُ الْخَلِيمِ

(المصدر نفسه: ج ١ / ١٦٤)

في موضع آخر يشكو الشاعر من الدهر وتقلب الزمان، ويتحسر على الفأنت ويتحدث عن ذهاب العزّ الذي كان فيه وتنكر الزمان له بعد عزّ وفخار:

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا      إِلَّا بَقِيَّةُ دَمْعٍ فِي مَاقِينَا  
كُنَّا قَلَادَةَ جِيدِ الدَّهْرِ فَأَنْفَرَطَتْ      وَفِي يَمِينِ الْعُلَا كُنَّا رِيَاحِينَا  
كَانَتْ مَنَازِلُنَا فِي الْعِزِّ شَامِخَةً      لَا تُشْرِقُ الشَّمْسُ إِلَّا فِي مَغَانِينَا

(المصدر نفسه: ج ٢ / ١١٩)

وفي الشكوى من الشيب نجد قصيدته «وداع الشباب» وقد قال هذه القصيدة في دار وسط مزارع قضى فيها بعض أيام شبابه، ثمّ مرّ بها بعد عهد طويل من تحوله عنها فتحرّكت في نفسه ذكريات وحزن لحلول الشيب على رأسه:

كَمْ مَرَّ بِي فِيكَ عَيْشٌ لَسْتُ أَذْكَرُهُ      وَمَرَّ بِي فِيكَ عَيْشٌ لَسْتُ أَنْسَاهُ  
وَدَعْتُ فِيكَ بَقَايَا مَا عَلِقْتُ بِهِ      مِنْ الشَّبَابِ وَمَا وَدَعْتُ ذَكَرَاهُ  
أَهْفُو إِلَيْهِ عَلَى مَا أَقْرَحْتَ كَبْدِي      مِنْ التَّبَارِيحِ أَوْلَاهُ وَأَخْرَاهُ

(المصدر نفسه: ج ٢ / ١٢٠)

نجد لغة الماضي في شتى المواضيع من ديوان الشاعر، فذكر الماضي كان كبلسم يشفى جروحه.

## التراكيب

إن لكل مبدع القدرة في إيصال أفكاره وبأشكال وطرائق متنوعة. وعلى هذا الأساس فإن الخاصية اللغوية يمكن أن تثير في نفس المتلقى انفعالات متعددة تبعاً للسياق الذي جاءت فيه، فضلاً عن ذلك فإن نص الانفعال يمكن أن تثيره بوسائل أسلوبية متعددة وكل



هذا يتحدد بموجب قوانين النحو، وكما يقول *الجرجاني*: «اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها» (دلائل الإعجاز، ١٩٦١م: ٣٨).

### الأساليب الإنشائية

أ: **الإستفهام**: «هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن» (التفتازاني، ١٣٨٨ش، ١٩٥). قد يخرج الإستفهام من معناه الأصلي إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام. إن *حافظاً* يستخدمه في الشكوى للتعبير عن حزنه. كما في قصيدته «الإخفاق بعد الكد» يشكو أنه لم يصب شيئاً من مال ونشب وهو دائم الإسراع من سفر إلى سفر بكل اجتهاد والعمر ينفد:

ماذا أصبَتَ مِنَ الْأَسْفَارِ وَالنَّصَبِ      وَطَيْكَ الْعُمَرَ بَيْنَ الْوَحْدِ وَالْخَبَبِ

(إبراهيم، ٢٠٠٤م، ج ١١٦/٢)

الإستفهام هنا جاء للنفي، فظاهر البيت الإستفهام وباطنه النفي: «لم تصب شيئاً من مال»، فيشير إلى فقره بالإستفهام وفي القصيدة البائية التي أنشدها في الحفل الذي أقيم لتكريمه *أحمد حشمت باشا* وزير المعارف الذي عيّنه رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية. يقرّ بأنه ليس إلا شاعراً كثيراً الأمانى قليل النشَب تفيأ بظل الوزير:

وَهَلْ أَنَا إِلَّا إِمْرُؤُ شَاعِرٍ      كَثِيرُ الْأَمَانِي قَلِيلُ النَّشَبِ

(المصدر نفسه: ج ١١٦ / ١)

وفي شكوى المحتلين يصوّر آلامه وآلام شعبه وفيها لا يجد الشاعر ثوباً لشكواه إلا الإستفهام، حيث يكرّر "حتّام" في أبيات متوالية ليؤكّد شكواه قائلاً: حتّام يستمر هذا الظلم وتمتّع الأجانب من خيرات البلاد واستثمار أموالها والمصريون يعانون من الفقر:

حَتّامَ - وَالصَّبْرُ لَهُ غَايَةٌ -      لِعَيْرِنَا مِنْ بئرِنَا نَمْتَحُ؟  
حَتّامَ - وَالْأَمْوَالُ مَشْفُوهَةٌ -      نَمْنَحُ إِلَّا مِصرَ مَا نَمْنَحُ؟  
حَتّامَ يُمضِي أَمْرُنَا غَيْرُنَا      وَذَاكَ بِالْأَحْرَارِ لَا يَمْلَحُ؟

(المصدر نفسه: ج ١١٦ / ٢)

**ب: التمني:** «هو طلب حصول شيء على سبيل المحبة» (التفتازاني، ١٣٨٨ ش: ١٩٣) كما نرى في شكوى الشقاء أنه تمنى لو كان في خفض العيش وأمره يسير طوع إرادته، فإن هذه الرغبات مكلفة، فأني لحافظ أن يحقق هذه الآمال؟ فيستخدم التمني قائلاً:

يا ليتني كنت من دُنياى فى دعة      قلبى جميع وأمرى طوع وجدانى

(إبراهيم، ٢٠٠٤م: ج ١ / ١٣٥)

وفى لاميته فى تهنئة الخديوى عباس بقدمه من الحج تمنى لو استطاع أن يودى فريضة الحج معه ويبلغ بذلك منى الدارين رحب الباع وفائزاً. فيكرر التمني فى بيت واحد، هذا التكرار يدل على ابتعاده عن آماله حيث لا يرجى حصولها، فرانت على نفسه مسحة من القنوط فى العثور على رغائبه، فيستمد من التمني وهو يشكو الفقر:

فيا ليتني اسطعت السبيل وليتني      بلغت منى الدارين رحباً ومغنماً

(المصدر نفسه: ج ١ / ٥١)

فى موضع آخر يشكو من الشيب ويقيس الشيب بالعزوبة ويقول إلى الذين يحسدونه على العزوبة، إنه مقيد بدلاً من قيد الملاح بقيد آخر وهو الشيب، فيتحسر الشاعر على الشباب ويتمنى أن يدوم قيد الملاح بدلاً من قيد الشيب ولكن هيهات هيهات. إنما يريد من خلال التمني أن يطلق خواطره الحزينة فى صور شجية فيها معاناة للشيب. فيستخدم التمني ليعبر عن شكواه من قيد الشيب. هذه الأناث تبين ما انطوت عليه نفسه من حزن يخيم على قلبه حيث غاب الشباب وزال قيد النساء ويظهر تلهفه فى قوله: «ليتته دامت صرامته» لأن عودة الشباب أمر المحال:

قالوا تحررت من قيد الملاح فعيش      حراً ففى الأسر ذل كنت تأباه  
فقلت يا ليتته دامت صرامته      ما كان أرفقه عندي وأخناه  
بدلت منه بقيد لست أفلته      وكيف أفلت قيدا صاغه الله

(المصدر نفسه: ج ٢ / ١٢١)

**ج: النداء:** «هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظاً وتقديراً» (التفتازاني، ١٣٨٨ ش: ٢١٣) ومنه قوله فى شكوى صديقه ليشير إلى أنه أهمل حق المودة وغرض الشاعر من النداء، التنبيه من هذه الغفلة:

إن غضبيك يا أخی بالملام      لا يودى لمثل هذا الخصام

أنتَ والشَّمسِ والضُّحَى واللَّيالي أَلْ-      عَشرٍ والفَجْرِ غَيرَ راعِي الدِّمَامِ  
ما غَهدناكَ يا كَريمَ السَّجَايا      تَصرفُ النَّفْسَ عَن هَناكَ الكِرامِ  
(إبراهيم، ٢٠٠٤م: ج ١ / ٢٠٢)

في هذه الأبيات يخاطب صديقه تارة بلفظ «أخي» ويناديه تارة أخرى بلفظ «كريم السَّجَايا» حتى لا يضجر الصديق منه. والشاعر ينادي صديقه من بلاد السودان، فيستعمل الياء في نداءه وهو نداء يحمل معنى البعد المكاني. في شكوى الموت، يضيق الشاعر ذرعاً بالموت ويخاطب الثرى لمداومته على مواراة الأجساد وإبلاء الجسوم، لأنه ظمآن وجائع حيث لن يشبع من هذه الجسوم، فيستمد الشاعر من النداء لإظهار ضجره منه:

أَيُّهَذَا الثَّرَى إِلامَ التَّمادِي      بعد هذا أ أنت غرثان صادي

(المصدر نفسه: ج ٢ / ١٣٣)

وحيثما ييأس الشاعر من الدنيا يرى العيش فيها كاذبة، فيقول في شكوى الدنيا:

عَقِنِي الدَّهْرُ وَلولا أَنني      أوثرُ الحُسنى عَقَقْتُ الأديبا  
إيه يا دُنيا اغبسي أو فابسمي      لا أرى بَرَقَكَ إِلا خُلِّبا

(المصدر نفسه: ج ٢ / ٧)

لا يخفى مقصد الشاعر من النداء هنا الذي توجه به للدنيا بنفس ساخطة متبرمة من خدعتها. يرى الشاعر العيش في هذه الدنيا أحلاماً كاذبة، كأنه برقٌ خَلَبَ يطمع الناس في مطره وهو يخلفهم. فينهض النداء ببعض الدلالات التي ترسم للقارئ صورة نفس الشاعر الأليمة. حيث الشاعر قد يضيق ذرعاً يخاطب المشكو منه لإظهار شكواه منه.

### التناسق القرآني

وجد حافظ القرآن الكريم نبعاً ثراراً فأكثر من وروده والإفادة منه في شعره كما يقول الدكتور جابر قميحة: «إن حافظ إبراهيم كان من أكثر شعراء العصر الحديث إن لم يكن أكثرهم في تأثر الأسلوب القرآني فكراً وتصويراً وتعبيراً وهو يفوق شوقي في هذا المجال» (قميحة، ١٤١٣ق: ١١١). فالشاعر قد اقتبس ألفاظ القرآن وتعبيراته وفي مواضع أخرى قد استعان بقصصه وبما جاء فيها.

**أ: الاقتباس من ألفاظ القرآن:** هو قد يتأثر من القرآن الكريم في ألفاظه ويجد في الكلمة القرآنية والأسلوب القرآني مثله الأعلى. كما نجد في الشكوى من بعض أصدقائه الذين أهملوا حق المودة:

أَصَبْتُمْ ثُرَاتِي وَأَهْلَاكُم التَّـ      كَثُرَ عَنَّا فَسُرَّ الْعِدَا  
وَمَنْ كَانَ يُنْسِيهِ إِثْرَاؤُهُ      صَدِيقَ الْخِصَاصَةِ لَا يُصْطَفَى

(إبراهيم، ٢٠٠٤م: ج ١ / ١٩٧)

هنا يتأثر بقوله تعالى: ﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ (التكاثر / ١) وفي الشكوى من صديقه يقول:

إِنَّ عَضَّيْكَ يَا أَخِي بِالْمَلَامِ      لَا يُودَى لِمِثْلِ هَذَا الْخِصَامِ  
أَنْتَ وَالشَّمْسُ وَالصُّحَى وَاللَّيَالِي الْـ      عَشْرٍ وَالْفَجْرِ غَيْرِ رَاعِي الدَّمَامِ

(إبراهيم، ٢٠٠٤م: ج ١ / ٢٠٢)

الشاعر يقسم في هذا البيت بما أقسم سبحانه وتعالى في سورة «الشمس» و«الضحى» و«الفجر». ويشكو الشاعر من الموت وفقدان أصدقائه ويتأثر بقوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَّعِيمٌ﴾ (الواقعة/٨٩)، فيقول:

شَاهَدْتُ مَصْرَعٌ أَتْرَابِي فَبَشَّرَنِي      بِضَجَعَةٍ عِنْدَهَا رَوْحِي وَرَيْحَانِي

(إبراهيم، ٢٠٠٤م: ج ١ / ١٤٠)

**ب: استدعاء الشخصيات القرآنية:** يستعين من الشخصيات القرآنية وقصصهم،

فاختار من تلك القصص أقساماً تساعده في إبراز أحساسه. فمن هؤلاء الشخصيات:

**١: اسحاق (ع):** يشكو الشاعر شقاء أبناء آدم أبي البشر وتهاون الأيام بهم، فيستفيد من قصة ذبح إبراهيم ابنه حيث إنَّ الأيام أرغمت إبراهيم عليه السلام على أن يتلَّ ابنه الذبيح للجبين، ويشير إلى قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ الشَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ (الصافات/١٠٢).

سَلِيلَ الطَّيْنِ كَمْ نَلْنَا شَقَاءً      وَكَمْ خَطَّتْ أُنَامِلُنَا ضَرِيحَا  
وَكَم أُرَزَّتْ بِنَا الْيَآمِ حَتَّى      قَدَّتْ بِالْكَبْشِ إِسْحَاقَ الذَّبِيحَا

(إبراهيم، ٢٠٠٤م: ج ٢ / ١١٢)

٢: يوسف(ع): يستدعى الشاعر شخصية/النبى يوسف عليه السلام ويذكر عناءه وأمره مع إخوته من إلقائه فى الجبّ والتقاط بعض السيّارة له، وبيعهم إيّاه بيع العبيد. فنجد الشاعر هنا شاكياً من الدّهر والأيام:

وَبَاعَتْ يُوْسُفًا بَيْعَ الْمَوَالِي وَأَلْقَتْ فِي يَدِ الْقَوْمِ الْمَسِيحَا

(المصدر نفسه: ٢ / ١١٢)

٣: عيسى(ع): ويشير إلى ما أصاب/المسيح عليه السلام من اليهود الذين أرادوا صلبه، فيقول:

وَبَاعَتْ يُوْسُفًا بَيْعَ الْمَوَالِي وَأَلْقَتْ فِي يَدِ الْقَوْمِ الْمَسِيحَا

(المصدر نفسه: ٢ / ١١)

من خلال هذه الشواهد نجد أنّ حافظاً قد اختار بعض نصوصه من القرآن الكريم وقصصه ليعبر عن حالة الحزن التى عاشها.

### الفكاهة والسّخرية

الإفادة من الفكاهة والسّخرية فى الشكوى قديمة فى الأدب العربى كما نرى بعض شعراء العصر المملوكى، معتمدين فى شكاوى على الفكاهة كما يقول الدكتور شوقى ضيف: «وكانوا يمزجون هذا الحديث بخفة الظلّ التى عُرف بها المصريون، حتى ليصبح شعر الشكوى فى هذا العصر ضرباً من الفكاهة أحياناً على غرار ما هو معروف عن الجزّار والوراق وابن دانيال وغيرهم. ويأخذ هذا الحديث صورة عابسة جادة عند نفرٍ من الشعراء وفى مقدمتهم/بن نُبّانة»(ضيف، ١٩٩٠م: ٢٢٦-٢٢٧).

كان حافظ ميّالاً إلى النكتة وكان له زاد وافر من الدعابة. ربّما كان يلتقطها من قراءاته الكثيرة فى كتب الأدب أو ممن كان يزورهم فى المجالس من المحدّثين والسّمار. يقول زكى مبارك: «كان حافظ يجد متعة عظيمة فى رواية النوادر والملح والفكاهات. كان يقبل على جليسه بنشاط عجيب، فيتكلّم بكل نفسه ويسدّ على جليسه منافذ الخلاص من المجلس إذا طال»(علوش، ٢٠٠١م: ٢٤-٢٥). القارىء لأشعار حافظ الشاكية يجد هذه الصفة فيها كما يقول:

خَفَّضُوا جَيْشَكُمْ وَتَأَمَّوْا هَنِيئاً وَابْتَعُوا صَيْدَكُمْ وَجُوبُوا الْبِلَادَا

وَإِذَا أَعْوَزْتُمْ ذَاتُ طُوقٍ      بَيْنَ تِلْكَ الرَّبَا فَصَيِدُوا الْعِبَادَا

(إبراهيم، ٢٠٠٤م: ج ٢ / ٢٠)

يشكو من المحتلين ويشير إلى حادثة دنشواي والتي قتل الإنجليز المصريين فيها، فيخاطب الإنجليز من خلال سخرية لاذعة، طالباً إلى أن يقصدوا الصيد وإذا فقدوا الحمامة قاموا بصيد المصريين ويقول في هذا الضرب من الشكوى:

أَذِيقُونَا الرَّجَاءَ فَقَدْ ظَمْنَا      بَعْدَ الْمُصْلِحِينَ إِلَى الْوُرُودِ  
وَمَتُّوْنَا بِالْوُجُودِ فَقَدْ جَهَلْنَا      بِفَضْلِ وُجُودِكُمْ مَعْنَى الْوُجُودِ

(المصدر نفسه: ج ٢ / ٣٢)

وهنا يخاطب المحتلين ونرى التهكم ظاهراً في «عهد المصلحين» وفي موضع آخر يستهدف المصريين، الذين يلهون بسفساف الأمور ويفرون من الصالحات حيث يشبه تركهم الصالحات بفرار السليم من الأجر:

أُمُورٌ تَمُرُّ وَعَيشٌ يَمُرُّ      وَنَحْنُ مِنَ اللَّهِو فِي مَلْعَبِ  
وَشَعْبٌ يَفِرُّ مِنَ الصَّالِحَاتِ      فَرَارَ السَّلِيمِ مِنَ الْأَجْرِبِ

(المصدر نفسه: ج ١ / ٢٥٧)

والشاعر يستمد من الفكاهات التي قريبة من عقول الجمهور ومستواهم الإدراكي ليعبر عن أحزانه.

### الشكوى الذاتية والمشملة على لفظ الـ«أنا» أو على صيغة المتكلم

نجد في شكاوى حافظ أن تعبيره عن الـ«أنا» أو بالأصح تعبيره بها واضح ويكاد يشيع في ديوانه حيث يظهر تارة في استخدام «صيغة المتكلم» كما يقول:

أَجْفَاءٌ أَشْتَكِي وَشَقَاءٌ      إِنَّ هَذَا مُنْتَهَى الْمِخْنِ

(المصدر نفسه: ج ١ / ٣)

وأحياناً يعبر الشاعر عن الشكوى الذاتية بطريقة أخرى حيث يستعمل لفظ الـ«أنا».

كما نجد في هذا البيت:

وَهَأُنَا بَيْنَ أَيْبَابِ الْمَنَايَا      وَتَحْتَ بَرَاثِنِ الْخَطْبِ الْجَسِيمِ

(المصدر نفسه، ج ١ / ١٦٥)

أضف إلى هذا أن **حافظاً** يستعمل في الشكوى الذاتية «ياء المتكلم». على سبيل المثال يقول:

يا ليتني كنت من ذنباي في دعةٍ      قلبي جميعٌ وأمرى طوعٍ وجداني

(المصدر نفسه: ج ١ / ١٣٥)

فيكرر **حافظ** «الياء» خمس مرّات وهذا الأمر يدل على حدّة الشكوى في نفسه، ومن هذا الاستعمال قوله في شكوى الشقاء:

جنيتُ عليكِ يا نفسي وقلبي      عليكِ جنّي أبي فدعي عتابي

(المصدر نفسه: ج ٢ / ١٢١)

فيه يبلغ عدد «الياء» أربع مرّات، فنرى في نفس الشاعر أحاسيس لدّاعة من الشكوى واللوعة المريرة.

### النجوى

حينما تزداد حدّة الشكوى، يخاطب نفسه، ليقبل غليان نفسه، كقوله في شكوى الشيب:

درج الزمانُ وأنت مفتونُ المنى      ومضى الشبابُ وأنت ساهٍ مطرقُ

(المصدر نفسه: ج ١ / ٤١)

هنا يخاطب الشاكي نفسه وهو يلومها على ذهاب العمر، حيث إنّه غافل ممّا وقع وفي موضع آخر يشكو من الشقاء:

جنيت عليكِ يا نفسي وقلبي      عليكِ جنّي أبي فدعي عتابي

(المصدر السابق: ج ٢ / ١٢١)

### الموسيقى الشعرية

الموسيقى في النقد الشعري هي من أهمّ مقومات الشعر و**حافظ** واحد من هؤلاء الشعراء الذين اهتمّوا اهتماماً بالغاً بهذا العنصر. الموسيقى هي حجر الأساس الذي يقوم عليه العمل الشعري والكلام الذي له طابع الموسيقى ينفذ إلى القلوب.

**الموسيقى الخارجية:** إنّ هذه الموسيقى يمكن أن نجدّها في الوزن والقافية وهما العنصران الأساسيان للبناء الشعري.

**أ. الوزن:** إنَّ الشكوى في ديوان *حافظ* قد تجيء في أثناء الموضوعات الأخرى التي تمثل تطلعات الشاعر إلى الواقع، وخصص بعض قصائده بكاملها لغرض الشكوى ولكن ما مدى مناسبة هذه البحور التي نظم فيها للشكوى؟ قد اتجه في قصائده الكاملة في الشكوى إلى البحر الطويل والكامل والبسيط والوافر.

ومما جاء بهذا البحر قوله في الأسي وهو يعتقد بأنَّ الموت أهون تجرعاً عليه من تجرّع هذا العيش المرّ:

ذُقْتُ طَعْمَ الأسي وَكَابَدْتُ عَيْشاً      دُونَ شُرْبِي قِذَاهُ شُرْبُ الحِمَامِ

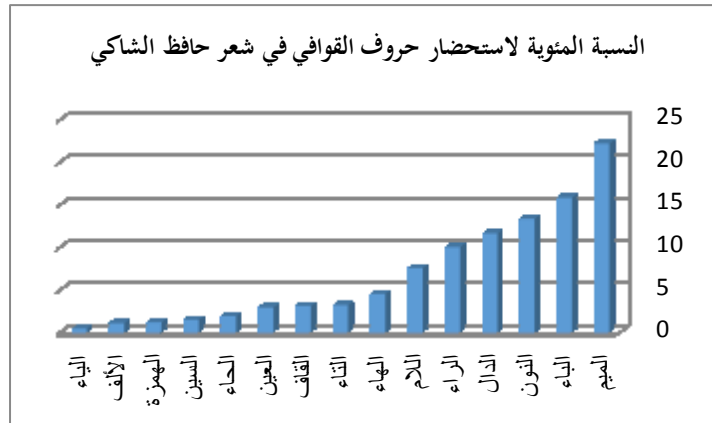
(إبراهيم، ٢٠٠٤م: ج ٢٨٨/١)

ونجد هذا الوزن في الشكوى من الفقر حيث الشاعر يحدّر ممّا يفعل البؤس بنفس الإنسان حتّى يلقيه في مهاوى الضلال:

رُبَّ بؤْسٍ يَخْبِثُ النَّفْسَ حتّى      يَطْرَحُ المرءَ في مَهَاوِي الضَّلَالِ

(إبراهيم، ٢٠٠٤م: ج ٣١١/١)

**ب. القوافي:** القافية ضرب من الموسيقى الخارجية ونجد شكواي *حافظ* في خمسة عشر حرفاً من حروف القوافي وهي الهمزة، الألف، الباء، التاء، الحاء، الدال، الراء، السين، العين، القاف، اللام، الميم، النون، الهاء، الياء.



من هذه الحروف نجد الميم، الباء، النون، الدال، أكثر الحروف وروداً في قوافي شعره الشاكي، فجاءت الحروف المجهورة أكثر استخداماً في قوافيه، إلا أن *حافظاً* لجأ في شكواه أحياناً إلى الحروف المهموسة لإظهار الأسي ورفض الواقع المرير؛ ونلاحظ أنّ الشاعر لجأ

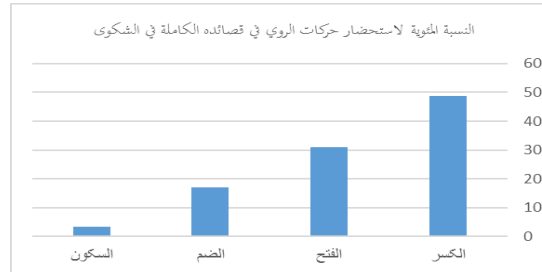


في شكواه أحيانا إلى قوافي تساعده في تعبير عن حالته الشعورية ونجد انسجاماً بين الحالة الشعورية واختيار حرف القافية. أنظر مثلاً تشكيه من المحتلين في حادثة دنشواي وهو قد استخدم قافية الدال:

أَيُّهَا الْقَائِمُونَ بِالْأَمْرِ فِينَا هَلْ نَسَيْتُمْ وِلَاءَنَا وَالْوِدَادَا

(إبراهيم، ٢٠٠٤م: ج ٢/٢٠)

ومن خلال استقراء قصائده الكاملة في الشكوى نجد أن حركة الكسر جاءت أكثر استخداماً في حركة حرف القافية، ومن خلال الجدول سنعرف النسبة المئوية للحركات المستخدمة في حروف القوافي في قصائده الكاملة في الشكوى:



هذا الرصد يدل على كثرة استخدام حركة الكسر حيث تحريك الروي بالكسر يوحي بانكسار الشاعر وحزنه على حقيقة هذه الدنيا التي تتضمن فراق الأهل، الشبيب، والشقاء. ألا تسمع في صوت الكسرة، صدى انكسار النفس المتحسرة؟ (حنبل، د.ت: ١٢).

**الموسيقى الداخلية:** نحسّ أثر الموسيقى الداخلية في شكوى حافظ من خلال الاختيار المناسب للألفاظ والتأليف بينها في نسق صوتي يمثل في مجموعة حالة الحزن وشدة الانفعال التي يكون عليها ذو الشكوى، من هذه الموسيقى:

**أ.الجناس:** «هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى» (الهاشمي، ١٣٨٣ق: ٤١٠) كقوله في شكوى المحتلين:

إِنْ قَامَ مِنَّا مَنَادٍ قَالَ قَائِلُهُمْ لَا تَصْخَبُوا فَهَلَاكُ الشَّعْبِ فِي الصَّخْبِ

(إبراهيم، ٢٠٠٤م: ج ١/٢٦٧)

هنا وقع الجناس في كلمتي "قال وقام" وهذا يسمّى لاحقاً (الهاشمي، ١٣٨٣ق: ٤١٣) وفي جانب هذا الجناس نجد في هذا البيت اشتقاقاً بين "قال وقائل" وإن هذا الأسلوب يخلق تماثل الحروف فيه، موسيقى تشيع داخل البيت ومن خلال تكرار الصوت

الانفجاري (القاف) تضي على البيت طابع الشدة، هذا بدوره يؤكد المعنى الذي يسعى إليه الشاعر في إبراز فكرة الغضب والشدة. نجد الشاعر في موضع آخر وهو يقول في الشكوى من طول الليل:

ما لهذا النَّجْمِ فِي السَّحَرِ      قَدْ سَهَا مِنْ شِدَّةِ السَّهْرِ  
خَلْتَهُ يَا قَوْمٌ يُؤْنَسُنِي      إِنْ جَفَانِي مُؤْنَسُ السَّحَرِ

(إبراهيم، ٢٠٠٤م: ج ١٢٢/٢)

**ب. التكرار:** نجد التكرار في شعر الشكوى عند حافظ. فيكرر كلمة أو تركيباً أو حتى جملة بأكملها و«إنَّ التكرار في الشعر يكاد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بظاهرة الإنشاء فالشاعر الذي يقصد بشعره إلى المحافل والمناسبات والجمهور يكون دائماً أحرص ما يكون على إبلاغ رسالته عن طريق تحفيظ المستمع» (عويضة، ١٤١٤: ٨٦). التكرار ظاهرة تسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة وتكشف عن اهتمام المتكلم بها ويتجلى التكرار في شعره الشاكي على نحو التالي:

**أ. تكرار الكلمة:** كما يقول في شكوى الموت حيث الشاعر يخاطب القبر قائلاً:

يَا قَبْرُ هَلْ لَعِبَ الْبَلَى      بِلِطَافِ تَلَكَ الْأَنْمَلِ؟  
لَهْفِي عَلَيْهَا فِي الطَّرُ      سِ تَسِيلُ سَيْلَ الْجَدُولِ  
لَهْفِي عَلَيْهَا فِي الْجِدَا      لِ تَحُلَّ عَقْدَ الْمُشْكِلِ  
لَهْفِي عَلَيْهَا لِلرَّجَا      ءِ وَلِلْعَفَاةِ السُّؤْلِ

(إبراهيم، ٢٠٠٤م: ج ٩٦/٢)

فنرى تكرار لفظ « لهفي » وهذا التكرار يدل على وجع الشاعر القلبي من الموت، هذا مع ما أضفاه على الكلام لونا من الموسيقى، وإن مثل هذا التكرار لم يكن الشاعر يستخدمه بطريقة عشوائية أو عفوية فهو إلى جانب النغمة الصوتية الخارجية التي يخلقها، فهو يحدث تناسقا وتماسكا بين الشكل والمضمون ما يحدث إيقاعا مرسلًا.

**ب. تكرار شطر واحد:** وأحياناً يكرر الشاعر شطراً، فيقول:

أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِنْ ضَنَّتُمْ بَعْفُو      أَقْصَاصاً أَرَدْتُمْ أَمْ كِيَادَا؟  
أَحْسِنُوا الْقَتْلَ إِنْ ضَنَّتُمْ بَعْفُو      أَنْفُوساً أَصَبْتُمْ أَمْ جَمَادَا؟

(المصدر نفسه: ج ٢١/٢)

والتكرار واضح وهو تكرار مصرع الأوّل في البيت الثاني، وهنا يخاطب الشاعر الإنجليزي ويطلب أن يعدلوا في الحكم مندداً بعدالتهم وبالحكم الذي صدر على المصريين بالقتل، فيؤكّد بالتكرار شكواه من الظلم والاجانب وأيضاً يساعد تكرار مصرع الأوّل على خلق موسيقية في كلامه. إن مثل هذا التكرار ساهم في رفق الدلالة وإيضاحها بطريقة أقوى وأمتع للقارئ، كما شكلت تكرارات هذه الألفاظ إلى بناء النص لشعري بناءً محكماً وساعدت على خلق موسيقية في كلامه.

**ج. الطباق:** «هو الجمع بين متضادين أي معنيين متقابلين في الجملة» (الخطيب القزويني، ١٤٢٤ق: ٢٥٥) وله أثر في إحداث جرس موسيقي من خلال انسجام الألفاظ ويذكر الدكتور عبد الله الطيب الفرق بين كل من الطباق والجناس من حيث جوهرهما والجرس الموسيقي بأن «الجناس عامل يظهر أثره في وحدة الجرس، والطباق عامل يظهر أثره في تنويع هذه الوحدة» (الطيب، ١٩٨٩م: ٣٠١ / ٢) ومن الطباق قوله في شكوى المحتلين:

عَمَلْتُمْ عَلَيَّ عِزَّ الْجَمَادِ وَذَلَّنا فَأَغْلَيْتُمْ طِيناً وَأَرْخَصْتُمْ دَمًا

(إبراهيم، ٢٠٠٤م: ج ٢٦/٢)

الطاق وقع هنا في "أغليتم وأرخصتم" و"عزّ وذل" ويحمل هذا الطباق شكوى الشاعر، لأن البيت مبني أساساً على الظلم الذي يراه الشاعر في تحقير الأجانب المصريين وكثرة الدسائس والمؤامرات.

### نتيجة البحث

قد ردّد الشاعر طائفة من الألفاظ المحملة بالدلالات الشعورية للتعبير عن الواقع وألفاظه، تشيع معنى الهموم التي تموج في قلبه بشحنتها المعنوية في إبراز الخلجات النفسية. مثل كلمة «لهفي» فنرى تردد لفظ «لهفي» ثلاث مرات في ثلاثة أبيات متوالية كما نجد تكرار لفظ «الشكوى» بصور مختلفة في بيت واحد أو نجد ورود الفاظ «الحنن، البلوى، الشقاء» في سياق بيت واحد.

استخدم حافظ في شعره الشاكي البحر الخفيف، الكامل، الطويل، البسيط، الوافر، المتقارب، الرمل، السريع والرجز وجاء أكثر قصائده التي خصصت بكاملها للشكوى في

البحر البسيط، الطويل، الوافر، وهناك صلة بين قصائده الكاملة فى الشكوى وبين البحور المستخدمة، لأنّ من المعانى ما هو حارّ أو صاخب لا يودّى إلّا بنفس طويل ولا تلائمها إلا الأعارىض الطويلة، والبحر الطويل مثلاً يتّسع لكثير من المعانى ويصلح للشكوى والألم والبحر البسيط يقرب من الطويل، فنرى الانسجام بين الحالة الشعورية والوزن المناسب وأمّا الشكاوى التى منتشرة فى هنا وهناك فى مطاوى القصائد الأخرى فتدور حول الأوزان المختلفة التى جاءت بها القصائد كالخفيف، الكامل، الطويل، البسيط، الوافر، المتقارب، الرمل، السريع، الرجز أمّا معظمها، فجاءت بالخفيف.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم.

إبراهيم، حافظ. ٢٠٠٤م، **الديوان**، ضبطه وصححه وشرحه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، د.ط، بيروت: دار العودة.

بشر، كمال. ٢٠٠٠م، **علم الأصوات**، د. ط، القاهرة: دار الغريب.

الجرجاني، عبدالقاهر. ١٣٨١ق / ١٩٦١م، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، الشيخ محمد عبده ومحمد على الشنقيطي، القاهرة: شركة الطباعة العلمية المعتمدة.

الجندي، علي. ١٩٦٩م، **الشعراء وإنشاد الشعر**، د. ط، مصر: دار المعارف.

حسين، طه. لا تا، **حافظ وشوقي**، د.ط، القاهرة: مكتبة الخانجي.

الدسوقي، عبدالعزيز. ١٩٨٤م. **في عالم المتنبي**، ط ١، بيروت: دار الشروق.

ضيف، شوقي. ١٩٩٠م، **تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات (مصر)**، ط ٢، القاهرة: دار المعارف.  
الطيب، عبدالله. ١٩٨٩م، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**، ط ٣، الكويت: دار الآثار الإسلامية.

الفاخوري، حنا. ١٤١١ق، **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**، المجلد الرابع، ط ٢، بيروت: دار النهضة.  
القزويني، الخطيب. ١٤٢٤ق، **الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)**، ط ١، بيروت: دارالكتب العلمية.

معلوف، لويس. ١٣٨٨ش، **المنجد في اللغة**، ط ٣٥، طهران: انتشارات إسلام.

الهاشمي، احمد. ١٣٨٣ش، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ط ٢، طهران: إسماعيليان.